



# العاشرة مجلة

المجلد الثالث، ٢٠١١

مجلة مسجلة لدى المسجل للجرائد في الهند (RNI) برقم KERARA00011  
ومجلة معتمدة لدى جامعة كيرلا، الهند



قسم العربية، كلية الجامعة، تروننترم، كيرلا، الهند، 695034

## أجنحة جبران المتكسرة: لحنة إلى «الأجنحة المتكسرة»

د/ إ. عبد الحميد

أستاذ مساعد، قسم العربية، كلية مهارات اجاس، إرناكلام، كيرلا، الهند

ظهرت "الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران في فترة ظهرت فيها رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل، وطبعها جبران المتشائم المتمرد بطابع عاطفته الحادة، وكانت لوناً من البوح الشخصي، وجمع في أسلوبه الشعري بين الرومانسية والرمزية. أما نزعة رومانسية فهي واضحة تلف أحداث الأجنحة المتكسرة بأسرها... فتى وفتاة، وحب روحي طاهر بعيد عن متعة الجسد وشهواته، قصة حب يانس، حب مستحيل انتهى بالموت، إلا أن هذا الموت يجمع بين الحبيبين اللذين فرقهما شرائع الناس والحياة. كان جبران حينذاك في قبضة نظرية التوأم في الحب، حسب ميتولوجيا اليونانية، يرى جبران أن هذه الحياة الدنيوية حلم، فالموت يحرر كُل مخلوق من عبودية الجسد وسجن المادة.



ونحاول تحليل "الأجنحة المتكسرة"، فنتابع أولاً وقبل كل شيء، كيفية تطور الأحداث في القصة، هل توافق الحوادث اللاحقة منها على السابقة السippبية، وعلى فكرة القصة؟ ثم نطلع على العقدة القصصية، ثم الأسلوب الجبراني، ثم نلخص بعض آراء النقاد والقراء بعد قصتها من المصادر الصادقة، وذلك لكي لا يطغى موقفي، وتنعكس نظرياتي في السطور، كما تطغى آراء جبران على شخصياته دوماً. وروى جبران هذه الرواية بصيغة المتكلم، وقدّمها إلى ماري هاسكل التي ساعدته مادياً ومعنوياً، وحرّرت جميع مؤلفاته الإنكليزية وجعلتها في شكل مقبول للنشر. وعبر جبران عن القصة وأشخاصه " الكتاب يخلقون شخصياتهم وفق خبرتهم، أما أنا فلا، الأشخاص والحوادث كلها من خلقي". في ضوء هذه الحقائق نمشي قدماً.

### لحنة إلى كيفية تطور الحوادث:

- يرسم الكاتب توطئة لهذه القصة فجر شبيبته، والحب الذي فتح عينيه بأشعته السحرية، ويوصي رفقاء الصبا المنتشرين في بيروت بوضع الأزهار على قبر سلمى كrama، ويسترجع الكآبة الخرساء التي تقطن قلبه، ويدرك يد القضاء التي مهدت الطريق للتعرف على فارس كrama، الرجل الغني الذي كان صديق والده في أيام شبابه.
- يزور الكاتب منزل فارس كrama، وهناك - في باب الهيكل- تعرف على ابنته سلمى، ويهجدها من أول نظرة من أجل جمالها، وكونها تعصى مثله، ثم يزورها بشكل منظم، أثناء ذلك تقع العاصفة التي خطفت الشعلة البيضاء من يد فارس كrama، كلاماً من يد عاشقها الأتعس، وتركتهم العاصفة في بحيرة النار، وذلك، أن المطران أجبر فارس كrama -مستغلاً منصبه الديني - لزواج ابنته سلمى من منصور بك المعروف بطعمه ورغبته في حصول المال كعمّه المطران.
- تزوج منصور بك من سلمى بغير إرادتها، ومرت الأشهر والفصول، ولم يلتقي الكاتب بها، لكنه كان يلتقي بوالدتها ويزوره في بيته. وفي إحدى الأيام عندما ذهب لزيارتة وجده شاحب الوجه أصفر اللون، والتلقى هناك سلمى، وفي تلك الليلة توفي فارس كrama من شدة مرضه، هكذا اجتمع الحبيبان أمام عرش الموت مرة أخرى، وبعد هذا الحادث بدأ الكاتب وسلامي يلتقيان مرة في الشهر في معبد صغير بعيد عن بيتها.

- ففي يوم من أواخر حزيران كان جبران وسلمي يجلسان في المعبد، أمام ذاك الجدار الذي فيه رسوم عشتروت ومريم التي ترمز إلى التضحية، فقالت: "اقرب مني، اقرب مني يا حبيبي، اقرب ودعني أزود نفسي منك، فقد دنت الساعة التي تفرقنا إلى الأبد، لأن المطران قد صار يعلم بأنني أخرج مرة في الشهر للفانك... أنا لا أخاف على نفسي، ولكنني أخاف عليك.."، ثم خرجت من ذلك المعبد رمزا آخر للتضحية.

- ولدت سلمى طفلا رغم كون منصور بك مشغولاً عن سلمى، وذلك في السنة الخامسة لزواجهما، لكن، بعد الولادة توفيت هي وطفلها، وبهذا يقول الكاتب: إن هذا الطفل أتى إلى العالم منقذ، يأخذ سلمى معه من القبر الذي وضعها فيه القدر.. نفس الوقت كان منصور بك وعمه المطران يفكران عن زواج امرأة أخرى أوفر ثروة، من سلمى...

#### ت تكون العقدة القصصية من عنصرين:

الأول: التنازع بين ميل النفس وواقعها: ارتباط الكاتب سلمى هو ارتباط روحي لا يفهمه إلا نفسيين. ومع ذلك علاقة هذين الشابين مرفوعة اجتماعيا، ولو علم المجتمع بهذه العلاقة لما سمح بذلك.

الثاني: التنازع بين قوى الخير وقوى الشر في الوجود: الكاتب سلمى وفارس كرامة قوى الخير. أما قوى الشر فتمثل المطران وابن أخيه. قوى الخير في هذه القصة ضعيفة أمام قوى الشر، لذا عندما طلب المطران يد سلمى من أبيها، لم يستطع الأب أن يرفض بالرغم من معرفته لأخلاقية المطران، كذلك سلمى فهي ضعيفة أمام رغبة أبيها.

#### فكرة القصة

فكرة القصة هي الأساس الذي يقوم عليه بناء القصة، وتستخلاص الفكرة بعد قراءة القصة وتمثّلها. ويجب تجنب طرح الفكرة بأسلوب مباشر، لأن ذلك يجعل حركتها و يجعلها للوعظ. أما فكرة الأجنحة المتكسرة وأسلوب عرضها فلن ترضي إلا أسفل السافلين. وهذا د/ جميل جبر يقول: لا تستكمـل "الأجنحة المتكسرة" شروط الرواية من وجوه عـدة أهمـها:

- لا حكمة فيها يدعمها سلسلـ منطقـ، وهي تفتقر إلى عنصر التشويقـ، فـمنـ الـبداـية يـشعـرـ القـارـئـ بماـ سـيـنـتهـيـ إـلـيـهـ.
- بطـلاـ الروـاـيـةـ يـتـحدـثـانـ بـلـسانـ جـبـرـانـ حـينـ لـاـ يـتـدـخـلـ جـبـرـانـ مـباـشـرـةـ فـيـ إـبـادـهـ آـرـانـهـ الثـورـيـةـ.
- الطـابـعـ الـوـجـدـانـيـ يـطـغـيـ عـلـيـهـ بـحـيـثـ يـجـعـلـهـ تـبـدوـ كـأـنـهـ سـلـسـلـةـ اـعـتـراـفـاتـ وـجـيـعـةـ.
- يـخـاطـطـ السـرـدـ بـالـأـنـطـلـاقـاتـ الـغـانـيـةـ، وـالـاستـطـرـادـ الـبعـيـدةـ عـنـ الـمـوـضـوـعـ.
- تـكـرـارـ الـجـمـلـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ نـقـصـ فـيـ الـمـفـرـدـاتـ، وـكـذـلـكـ بـعـضـ التـشـابـيـهـ وـالـتـعـابـيرـ.<sup>١</sup>

ولم تثر هذه الرواية السخط العام لـ المحافظـينـ وـ رـجـالـ الدـينـ فـحسبـ، بلـ كـتـبـ إـلـيـهـ صـدـيقـتهـ الأـدـيـبـةـ مـيـ زـيـادـةـ: ".. وأـشـارـكـ فـيـ الـمـبـدـأـ الـأـسـاسـيـ الـقـائـلـ بـحـرـيـةـ الـمـرـأـةـ، فـكـالـجـلـ يـجـبـ أـنـ تـكـوـنـ حـرـةـ بـاـنـتـخـابـ زـوـجـهـاـ، وـلـكـنـ حـينـ تـخـتـارـ شـرـيكـاـ لـهـاـ عـلـيـهـ أـنـ تـقـيـدـ بـوـاجـبـاتـهـاـ... إـنـ الـمـرـأـةـ بـاـجـتـمـاعـهـاـ السـرـيـ معـ حـبـبـهـاـ، مـهـمـاـ كـانـ طـاهـراـ، تـخـوـنـ زـوـجـهـاـ وـتـخـوـنـ الـهـيـئةـ الـاجـتمـاعـيـةـ.... عـنـ الـزـوـاجـ تـعـدـ الـمـرـأـةـ بـالـأـمـانـةـ، وـالـأـمـانـةـ الـمـعـنـوـيـةـ تـضـاهـيـ الـأـمـانـةـ الـجـسـديـةـ أـهـمـيـةـ"<sup>٢</sup>. ويـقولـ مـيـخـانـيـلـ نـعـيمـةـ: إـنـهـ لـمـ نـسـامـحـ الـكـلـيـ أـنـ نـدـعـوـ مـثـلـ هـذـهـ التـخـيلـاتـ قـصـةـ<sup>٣</sup>. وأـوـصـتـ مـارـيـ هـاسـكـلـ وـجـعـلـهـاـ فـيـ شـكـلـ مـقـبـولـ لـلـنـشـرـ، جـبـرـانـ بـقـرـاءـةـ الشـاعـرـ الـهـنـدـيـ طـاغـورـ بـدـلـاـ لـلـأـسـاطـيرـ الـيـونـانـيـةـ وـالـكـلـدـانـيـةـ وـالـفـارـسـيـةـ وـالـفـيـنـيـقـيـةـ وـالـمـصـرـيـةـ. وـوـاجـهـ جـبـرـانـ نـقـداـ لـأـذـعـاـ مـنـ قـبـلـ مـصـطـفـيـ لـطـفـيـ الـمـنـفـلـوـطـيـ مـنـذـ سـنـةـ ١٩٠٧ـ، فـلـمـ يـجـرـأـ أـحـدـ أـنـ يـدـافـعـ جـبـرـانـ حـتـىـ بـارـبـرـةـ يـونـعـ الشـاعـرـ الـأـمـريـكـيـةـ الـتـيـ أـنـتـمـتـ بـلـ كـتـبـتـ وـنـشـرـتـ "ـحـدـيـقـةـ النـبـيـ"ـ بـاسـمـ جـبـرـانـ. وـبـسـبـبـ هـذـهـ الـبـلـاـيـاـ الـنـقـدـيـةـ، اـطـلـعـ جـبـرـانـ

<sup>١</sup>. د/ جميل جبر، تقديم وتعريف للأجنحة المتكسرة ، ص: ٢٤

<sup>٢</sup>. نفس المراجع ، ص: ٢٤

<sup>٣</sup>. المجموعة الكاملة لممؤلفات جبران ، ص: ٩

كثيراً من آثار أعلام الأدب العربي، كالمنتبي، والمعري، وابن الفارض، إلى جانب آثار فلاسفة وعلماء، كابن سينا، وابن خلدون، وغيرهما، إلا أنَّ آثر هؤلاء جميعاً كان لغويًا بلاغيًا، ولذا اعتمد في إبداعه على الذوق الفني الرفيع في اختيار الكلمات وتتنسيق الجمل، وهذا عبد العزيز النعماني يقول: "ومن خصائص جبران أيضًا عنایته بالموسيقى، سواء كان ذلك في الشعر أم في النثر... إنه إلى جانب ذلك، يعني بتحقيق التوازن الموسيقي بين الجمل" <sup>١</sup>.

وأراد جبران أن يهاجم بقلمه على كل تأخُر وجمود، وكل استغلال واستبداد، تجلٍّ كل ذلك في قصصه: مرتا البانية، وردة الهانى، مضجع العروس، الأجنحة المتكسرة. في كل هذه القصص حملة لا هوادة فيها على الظلم الاجتماعي، والاستغلال الإقطاعي، والانحراف الديني، والتعصب للتقاليد البالية...، ولذلك تناول جبران عديداً من الأشكال الأدبية، أو الأجناس الأدبية، ومارس الكتابة فيها جميعاً: القصة، المقالة، والمسرحية، والحكمة الرمزية (المثال)، كما كتب الشعر الموزون المقفى، والشعر المرسل، والشعر المنثور وأيدع فيه كل الإبداع وأعطاه كل خصائص الشعر الموزون (تصوير، خيال، موسيقى داخلية). أما هذه الأعمال الإبداعية فجلّها لا تكاد تقوم على قدميها من حيث إنها أدب.

حقاً، الأجنحة المتكسرة مضحكة ومبكية، تضحك هذه الرواية كلَّ دارس يحلل هذه الرواية، ويفتش فيها العناصر القصصية والروائية باحثاً، وتنضح كلَّ ناقدٍ يطبق المفاهيم والموازين التي وضعها جبران وأصحابه للقصة، متمسكين بأسلوب الغرب في العمل الإبداعي، ومهاجمين على الأدب العربي وأساليب السرد القصصي القديمة، وهي تُبكي كلَّ قارئٍ مشائم يحب البكاء، ويُبكي للبكاء، ويجد في البكاء عافية ما. اختتما لهذا المقال أقدم إلى حضرة المعجبين بالحب الجبراني، والأسلوب الجبراني، وإلى المعجبين بمعجبيه، وإلى من يقول: لو لا هجرة هؤلاء لصار الأدب العربي ونقده زوجين عقيمين، هذه القطعة من رسالة جبران أرسلها إلى مَيْ زيادة زميلته الأدبية: "لا تذكري أعمالِي الماضية، لأن ذكرها يُولمني، لأن تهافتها تحول دمي إلى نار محرقة، لأنَّ نشووفتها تولد عطشى، لأنَّ سخافتها تقيمني وتقعدي ألف مرة ومرة كلَّ يوم" <sup>٢</sup>... تهافة، نشوفة، سخافة.. هل هذا اعترافٌ متواضعٌ انتبه لانفساكه آخر الأيام، حينما أفسد المرض قافية قلبه وزنه؟ أم هبوطٌ من حاول أن يطير في سماء الأدب والشهرة بجناحين متكسرتين، تاركاً الريشة رغم براعته في فن الرسم؟، فهذا قوله "إذا قلبك بركاناً فأنت لك أن ترى الأزهار تتفتح في يديك؟" تغيرت نظرياته من أخمص القدم إلى قمة رأسه. وهذا عبد العزيز النعماني يقول: "ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ كثيراً من نصائح جبران وتعاليمه في كتابه (النبي) تحمل طيّاتها تأثراً واضحاً بال تعاليم الإسلامية في القرآن الكريم والحديث الشريف، فآداب الصدقة والمحنة عليها، وآداب البيع والشراء وإنقاذ العمل، تكاد كلها تكون مطابقة لما ورد في القرآن الكريم، ونصوص الحديث النبوي الشريف" <sup>٣</sup>... ولكن هادم اللذات لم يعطيه فرصة.

#### المصادر والمراجع

١. جبران بين التمرد ومصالحة النفس، تأليف عبد العزيز النعماني
٢. حديقة النبي، ترجمة د/ ثروت عاكشة
٣. ذكرياتي مع جبران، تأليف يوسف الحوبك
٤. رسائل جبران، جمع جميل جبر
٥. الرمزية في الأدب العربي، تأليف د/ محمد غنيمي هلال
٦. شعر المهجر، تأليف نشأت
٧. المجموعة الكاملة لممؤلفات جبران خليل جبران
٨. هذا الرجل من لبنان، (ترجمة، سعيد البابا، تأليف بربارة يونغ)

<sup>١</sup>. جبران بين التمرد ومصالحة النفس ، ص: ٤٢

<sup>٢</sup>. رسائل جبران ، ص ٩٢

<sup>٣</sup>. جبران بين التمرد ومصالحة النفس ، ص: ٦٠